Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تنصّر دوقيّة ليتوانيا الكبرى سنة 1386م وانعكاساته على سمعة ومكانة تنظيم الفرسان التيوتون إقليميّا.

Christianization of Grand Duchy of Lithuania 1386 AD and it's effects on the Teutonic order's reputation and regional position.

فتحيّة الفروجي El ferroudji Fethia المشرف: تومي رشيد Toumi Rachid
fethia.elfarroudji@univ-alger2.dz toumi-rachid@live.fr
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله مخبر المخطوطات
المؤلّف المرسل: الفروجي فتحيّة El ferroudji Fethia الإيميل: fethia.elfarroudji@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام : 2020-07-21 تاريخ القبول : 2020-12-22

ملخص:

بلغ تنظيم الفرسان التيوتون رأس حربة الحركة الصّليبيّة ضدّ وثني جنوبي شرق بحر البلطيق أوجّ قوّته منذ مطلع القرن الرّابع عشر الميلادي، فقد كان له الفضل في تنصير جزء كبير من الشّعوب البلطيّة الوثنيّة، بيد أنّ تنصّر دوقيّة ليتوانيا الكبرى على عهد الملك فلاديسلاف جاجيلو الثّاني"Wladyslaw II Jagiello" في سنة 1386م بعيدا عن جهود التّنظيم التيوتوني، وارتباط هذا الحدث بتحقيق الوفاق مع مملكة بولندا شكّل نقطة تحوّل محوريّة كانت لها انعكاسات عميقة، ليس على طبيعة العلاقات الثّنائيّة الليتوانيّة التيوتونيّة بقدر تبعاتها الحاسمة التي رسمت المرحلة المقبلة من تاريخ الفرسان التيوتون في منطقة البلطيق، وفيما كان من الأجدر أن تشكّل هذه الواقعة انتصارا باهرا للعقيدة الكاثوليكيّة وكذا التّنظيم التيوتوني، فإنّ العكس حدث، وتميّزت فترة ما بعد تنصّر الدّوقيّة بانتكاسات عسكريّة كبرى وإخفاقات دبلوماسيّة هامّة بالنّسبة له حيث أضحى منذئذ يفتقر إلى دعامة قانونيّة يستند إليها في مهمّته بعد أن قوّضت آخر أسباب الحرب.

كلمات مفتاحية: دوقيّة ليتوانيا الكبرى.، الفرسان التيوتون.، اتفاق كريفو.، فلاديسلاف جاجيلو الثّاني.، الوحدة الليتوانيّة . البولنديّة.

Abstract :

The Teutonic Order of knights, spearheaded of the Crusader movement against pagans of the Baltic reached the height of it’s power since the beginning of the fourteenth century, the order was credited with the Christianization of a large part of them, but the Christianization of Lithuania during the reign of King Jogaila in 1386 AD away from the efforts of the organization, and While it was better for this incident to be a fateful victory for the Catholic doctrine and the Teutonic behind, The opposite happened, and the post-Christian Ducal period was marked by major military setbacks and significant diplomatic failures for the order, that has since become poor to a legal pillar on which to base his mission after undermining the latest causes of the war.

Keywords: Grand duchy of Lithuania; Teutonic order; Krewo agreement; Wladyslaw II Jagiello; Lithuanian -Polish union.

1. مقدّمة.

حقّقت العقيدة الكاثوليكيّة بحلول أواخر القرن الثّالث عشر الميلادي تقدّما كبيرا حيث زحفت على أجزاء واسعة من جنوبي شرق حوض البلطيق، وباستثناء دوقيّة ليتوانيا الكبرى[1] التي شكّلت آخر معاقل الوثنيّة في ربوع القارة فقد دانت لها بحدّ السّيف جلّ القبائل البلطيّة[2] هناك في تسعينيّات ذات القرن؛ وبغضّ النّظر عن الأهداف الخفيّة وراء مشروعها، إلاّ أنّ الفضل في ما بلغته المسيحيّة في هذه الرّبوع يعود بدرجة أكبر لتنظيم الفرسان التيوتون[3] التي اتّخذت على عاتقها رفع شارة الصّليب في أوساط وثني الشّمال، واستكمالا لمهمّة تنصير الدّوقيّة، استهلّ الفرسان سياستهم الصّليبيّة ضدّها منذ سنة 1283م وانخرط

نبلاء غرب أوربا قاطبة في الحملات التي نضّدت ضدّها، وطيلة عقود شنّ التّنظيم الألماني حملات عسكريّة مهيبة على الأراضي الليتوانيّة تحت ستار الدّين وفق ما روّج له، ما مكّنه من نيل الشّرعيّة المطلقة وحشد الدّعم اللازم من ربوع أوربا الغربيّة في مهمّة تنصير ليتوانيا[4].

من الجليّ أنّ الفرسان التيوتون كانوا قبل انضمام الدّوقيّة إلى حظيرة العالم الغربي الكاثوليكي يتحجّجون في بلوغ طموحاتهم الإقليميّة بضرورة دحر الوثنيّة والقضاء عليها، ولئن بدا مبررهم هذا شرعيّا ومقبولا إلى حدّ ما، فإنّ مواصلة حربهم الضّروس على ليتوانيا المسيحيّة لم يعد مبرّرا من جهة، إذ انسلخ التّنظيم التيوتوني عن مبادئه وقيمه الرّوحيّة التي ادّعى أنّه وجد من أجلها وكان لهذا بالغ الأثر في تراجع وضعف موقف الفرسان التيوتون في ربوع أوربا.

بناء على ما تقدم، فإن الإشكالية التي تعالجها هذه الدّراسة تتمحور حول طريقة اعتناق ليتوانيا للعقيدة المسيحيّة وما مدى تعارضها مع طموحات التّنظيم التيوتوني وتطلّعاته وهو الذي بذل قرابة القرن من الزمن جهودا جبارة لتنصيرها؟. وإذا علمنا بأنّ الفرسان التيوتون واصلوا حربهم على دوقيّة ليتوانيا، ففيما تتمثّل دوافعهم؟ وكيف انعكس ذلك على سمعتهم إقليميّا؟.

2. جهود تنظيم الفرسان التيوتون في تنصير شعوب جنوبي شرق حوض البلطيق.

في بداية ثلاثينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي وتحديدا سنة 1230م، استهلّ الفرسان التيوتون مهمّتهم الجديدة في جنوبي شرق حوض البلطيق، بموجب اتفاقيّة جسر كروزفيك"Kruszwica"[5] بينهم وبين كونراد"Conrad I" دوق ماسوفيا"Masovia" الذي استدعاهم بعد نجاح مهمّتهم في ترانسلفانيا"Transylvania"[6] لكبح جماح القبائل الوثنيّة المجاورة[7].

كان البروسيون"Prussians"[8] أوّل مستهدف من سياسية التّنظيم الألماني القاضية بتنصير وجرمنة الشّعوب البلطيّة، وبعد أكثر من خمسين سنة من الجهود والحروب المتواصلة التي جوبه فيها بمقاومة شديدة من طرف أصحاب الأرض تمكّن الفرسان في ثمانينيّات ذات القرن من تنصير بروسيا[9] ونجحوا في طمس معالمها بعد قرابة القرنين من سياسة الجرمنة، وبذلك فإنّها أصبحت امتدادا للإمبراطوريّة الرومانيّة المقدّسة.

هذا ولم يقتصر حضور التّنظيم الألماني وجهوده التّنصيريّة في المنطقة على الأراضي البروسيّة، بل إنّه مدّ نفوذه إلى أراضي ما وراء نهر النيمن"Neiman" وتحديدا إلى ليفونيا بعد اتّحاده مع رابطة فرسان السيف سنة 1237م[10]، وتمكّن الفرسان التيوتون في القرن الرّابع عشر الميلادي من إرساء قواعد دولتهم التي شملت أجزاء واسعة من جنوبي شرق حوض البلطيق وبرزوا كقوّة مسيحيّة عظمى في المنطقة تهدّد القوى المجاورة الكبرى على غرار ليتوانيا وبولندا[11].

إنّ فراغ التنظيم الألماني من تنصير القبائل البروسية قد وضعهم في احتكاك مباشر على الحدود الجنوبية والشرقيّة مع دوقيّة ليتوانيا الكبرى التي كانت لا تزال على وثنيّتها وتمثّل تهديدا صريحا لجيرانها المسيحيّين؛ ولهذا فإنّ تنصير الليتوانيّين، الأشدّ ضراوة وتعصّبا لوثنيّتهم مقارنة بجيرانهم البروسيّين والليفونيّين أصبح مطلبا حتميا إذ سرعان ما تصاعدت حدّة الصّراع وقاد الفرسان التيوتون عدة حملات منتظمة على الأراضي الليتوانيّة اصطلح عليها تاريخيا بالرّحلات"The Reisen" وشارك فيها متطوّعون من مختلف ربوع أوربا؛ على أنّ الليتوانيّون أبانوا عن مقاومة مستميتة وتمكّنوا من ردّ اعتداءات التّنظيم وفي مرّات عديدة استطاعوا التّوغّل داخل الأراضي البروسيّة والليفونيّة أخطرها كان غارة سنة 1383م[12].

3. اتّفاق كريفو"Krewo" سنة 1386م وتنصّر دوقيّة ليتوانيا.

الواقع أنّ تنظيم الفرسان التيوتون ورغم كونه الأكثر تهديدا لليتوانيا، إلاّ أنّه لم يكن الغريم الوحيد لهذه الأخيرة التي وجدت نفسها مطوّقة على جميع الجبهات من لدن القوى الصليبيّة الكاثوليكية منها والأرثوذكسيّة، التي حركتها أطماعها على غرار مملكة بوهيميا، المجر، وبولندا وأدرك الليتوانيّون أنّ المسيحيّة ستزحف على أراضيهم لا محالة[13]. وبالنّظر إلى تطلّع بولندا لذات الهدف أي تنصير ليتوانيا[14]، وتوالي هزائم الوثنيّين على يد التّنظيم الذي اشتدّت ضرباته وأخذت منعرجا خطيرا في الفترة الممتدّة بين سنتي 1360 و1380م، فإنّ هذا الوضع المتأزّم أجبر الدّوق الأكبر جوجيلا"Jogaila"[15] على الجنوح لمهادنة الطّرف

البولندي وبدا خيار إحداث تقارب مع مملكة كوزمير الثالث"Casimir III"(1330-1370) عبر اعتناق عقيدتها أنسب من الرّضوخ لتعاليم الإنجيل تحت سيف الفرسان[16].

وممّا هو جدير بالذّكر أنّ ليتوانيا كانت أمام ثلاث خيارات، أوّلها التّحوّل إلى المذهب الأرثوذوكسيّ عبر قبول مساعي روسيا الموسكوفيّة، أو اعتناق المذهب الكاثوليكي عبر مهادنة الطّرف التيوتوني أو تحقيق سلام مع مملكة بولندا، لكنّ الدّبلوماسي المحنّك جوجيلا تنكّر لمذهب في روسيا الموسكوفيّة واستبعد خيار التّقارب مع الفرسان التيوتون لعدّة اعتبارات أهمّها العداء التّاريخي للعنصر الألماني فضلا عن العلاقة المتوترّة بين التّنظيم والبابويّة، فيما رأى في الوفاق مع بولندا تحقيقا لمصالح مشتركة، أبرزها رغبة هذه الأخيرة في قطع صلاتها بمملكة المجر التي كانت تهدّد الطّرفين البولندي والليتواني، وعليه فإنّ الوحدة بين الدوقيّة والمملكة من شأنه درأ خطر المجريين عن أراضيهم[17]، كما أنّ نقطة تصادم أطماع ليتوانيا وبولندا في غاليسيا . فولينيا شكّلت هي الأخرى سببا مقنعا جدّا لجوجيلا التّخندق في صفّ بولندا؛ ومن الواضح أيضا أنّ اتحاد دوقيّة ليتوانيا الكبرى مع بولندا كان سيمنحها نوعا من الاستقلاليّة بالإضافة إلى الحفاظ على هويّتها واجتناب مخاطر الاستيعاب الثّقافي على غرار ما حدث للبروسيّين على يد التّنظيم[18].

لقد بات أمل تحقيق محور تحالف مع بولندا أقرب في أعقاب خلو عرش المملكة وسرعان ما لاحت طلائعه بعد اعتلاء جادويغا"Jadwiga"[19] ذات العشر سنوات سدّة الحكم، عندها لم تتورّع الآلة الدّبلوماسيّة الليتوانيّة في التّحرّك لترتيب زواج سياسي بموجبه يتمّ إحقاق الوحدة وتنسيق الجهود لمواجهة العدو المشترك، ويبدو أنّ الأرضيّة كانت مهيأة فعلا لاحتضان الفكرة وتجسيد تلك الوصيلة، ذلك أنّ بولندا هي الأخرى رأت فيها فرصة سانحة للانتفاض عن حكم السلالة الأنجيفيّة التي احتكرت العرش لمدّة ثلاث عشرة سنة[20].

كان جاجيلو يعي أنّ إمكانيّة إرساء الوحدة مع بولندا من خلال مشروع زواجه بجادويغا مشروط بالدّرجة الأولى بنبذ معتقداته والاعتراف بالمسيحيّة التي شكّلت ورقة دبلوماسيّة رابحة أمّنت في مناسبات عديدة ظهور أسلافه على غرار ميندوغاس"Mindaugas"(1238-1263م)، جيديميناس "Gediminas"(1316-1342م)، وألجيرداس"Algirdas" (1345-1377م)[21]،كما كان عليه بناءً على شروط النّبلاء البولنديين تقديم تنازلات كتابيّة تحفظ لهم صلاحيّاتهم ومكانتهم نظير انتخابه ملكا[22].

ومهما يكن من أمر، فإنّ المفاوضات بين الطّرفين الليتواني والبولندي لم تلبث أن كلّلت بتوقيع اتّفاق في كريفو"Krewo" ببيلاروسيا الحاليّة في 14 أوت/أغسطس من سنة 1385م؛ وفي 4 مارس/آذار من السّنة الموالية، توّج جوجيلا ملكا (تمّ انتخابه ملكا في لوبلين"Lublin" في 2 فبراير/شباط 1386) على بولندا في العاصمة كراكو"Krakow" تحت اسم فلاديسلاف الثّاني جاجيلو"Wladyslaw II Jagiello"(1386-1434م)، وذلك بعد تعميده في 15 من فبراير/شباط من طرف بودزانت"Bodzanta" أسقف مدينة غنيزنو"Gniezno"، وإتمام صفقة الزّواج في 18 من ذات الشّهر[23]. وفيما اتّخذ جاجيلو من كراكو مقرّ تسيير دواليب حكم مملكة بولندا، فإنّه عهد بدوقيّة ليتوانيا لابن عمّه الدّوق فيتوتاس"Vytautas"[24]بعد صراع مرير على السلطة.

يمكن القول أنّ اتّفاق كريفو ولد وسط تهديدات حقيقيّة كانت قد أجبرت ليتوانيا على اعتناق الكاثوليكيّة حفاظا على استقلاليتها، علاوة على توجّس الطّرفين الليتواني والبولندي من تعاظم هيمنة تنظيم الفرسان التيوتون الإقليميّة، ويمكن القول بأنّه يعدّ كذلك بمثابة وثيقة ميلاد ليتوانيا المسيحيّة وظهور أوسع دول أوربا الغربية التي اكتمل في ظلّها تشكّل أوربا الكاثوليكيّة في العصر الوسيط مثلما علّق عليه ريتشارد فليتشر"Richard Fletcher"، خاصّة بعد تنصّر مقاطعة ساموجيتيا سنة 1413م كما كان أيضا الأساس الذي أرسى لأوّل وأطول اتّحاد سياسي فعلي في تاريخ القارّة[25].

1.3. موقف تنظيم الفرسان التيوتون من طريقة تنصّر دوقيّة ليتوانيا والوحدة مع بولندا.

لا شكّ أنّ اتّفاق كريفو سنة 1386م مثّل انتصارا باهرا للعالم المسيحيّ، بيد أنّه من جهة أخرى شكّل هزيمة مدوّية لتنظيم الفرسان التيوتون على يدّ بولندا التي حقّقت بطرق سلميّة ما عجزوا عنه طيلة أكثر من قرن من حروب طاحنة استنزف فيها طاقاته البشريّة والماديّة؛ وعلى الرّغم من ذلك،

وفيما كان من المفترض أن ينتهي الصّراع القائم بين التّنظيم ودوقيّة ليتوانيا الكبرى وتضع الحرب أوزارها، فإنّ المفارقة تمثّلت في مواصلة الفرسان التيوتون لسياسيتهم العدائيّة ضدّ الأراضي الليتوانيّة عوض التّهليل لهذا المكسب المحقّق.

لقد أدرك التّنظيم الألماني أنّ اعتناق الليتوانيّون للعقيدة الكاثوليكيّة كان معناه القضاء على مستقبله السياسي ووجوده في المنطقة بأسرها بما أنّه استند في وجوده في المنطقة على قتال الوثنيّين واستمدّ شرعيّته في ذلك من البابويّة والإمبراطوريّة واعتمد في قوّته بدرجة أكبر على الدّعم الوافد من شعوب غربي أوربا، وبالتّالي فإنّ مواصلة حربه على ليتوانيا كانت مطلبا حتميّا واستراتيجيّا للحفاظ على كيانهم وضمان استمراريتهم عوض التّسليم بالهزيمة.

4. كيف أثّر تنصّر ليتوانيا على سمعة تنظيم الفرسان التيوتون؟.

لابدّ قبل الخوض في معالجة الإشكاليّة المطروحة، الإشارة إلى أنّ آراء وفرضيّات المؤرّخين حول حقيقة المليشيات الصّليبيّة وأهدافها لطالما تباينت، على أنّها اتّفقت في معظمها بشأن انسلاخها عن مهمّاتها الرّوحيّة والخيرية التي وجدت من أجلها وتحوّلها إلى مؤسّسات وهياكل ذي طموحات ماديّة محضة استهجنها الغرب الأوربيّ وتسبّبت في النّهاية في مطاردتها وحلّها.

في هذا السياق، من الواضح أنّ هيئة الفرسان التيوتون لم تشكّل استثناء، ولا أدلّ على ذلك من موقف كونراد فون روتنشتاين"Konrad Zöllner Von Rotenstein"(1382م1390) وخلفائه استئناف سلسلة غارات منتظمة على الدّوقيّة دون هوادة انطلاقا من قواعدهم في بروسيا وليفونيا حتّى عشرينيّات القرن الخامس عشر الميلادي تحت ذريعة أنّه تضليل للكنيسة ولغرب أوربا من لدن فلاديسلاف جاجيلو الثّاني[26]، وفي تناقض رهيب يعكس طمعهم ويعريّ حقيقتهم، فإنّهم كثيرا ما سعوا إلى استمالة الوثنيّين في ثمانينيّات القرن الرّابع عشر الميلادي بهدف الاستئثار بمقاطعة ساموجيتيا"Samogitia"[27] التي استعصى عليهم ضمّها إلى أراضيهم[28].

الواقع إنّ سّياسة الهيئة ضدّ ليتوانيا الكاثوليكيّة عكست بجلاء الهوّة بين مهمّتها الرّوحيّة التي لطالما ادّعتها ودعت لها، وبين نواياها السّياسيّة والتّوسعيّة الحقيقيّة، وكشفت أنّ الحرب على الدّوقيّة كانت تنافسيّة بحتة على حدّ تعبير نورمان هوسلي" Norman Housley" ومؤرّخين آخرين[29]. غير أنّ الإقرار بهذا يعدّ تنكّرا صريحا لجهود الفرسان التيوتون الذين كان لهم الفضل الأكبر في تنصير القبائل الوثنيّة البلطيّة ومدّ تخوم العالم الكاثوليكي لأقصى الشّرق.

حقيقةً، إنّ تنصّر ليتوانيا شكّل عقبة كبرى أخلطت حسابات الفرسان التيوتون وحالت دون بلوغهم مأربهم الأساسي المتمثّل في الاستحواذ على مقاطعة ساموجيتيا"Samogitia" حلقة الوصل بين أراضيهم في بروسيا وليفونيا، بالتّالي فإنّها عرقلت تنفيذ أجندات الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة الاستيلاء على سواحل بحر البلطيق ومدّ أراضيها إلى ما وراء نهر النيمن"Neiman" فضلا عن جرمنة تلك الرّبوع، أي أنّ تحوّل ليتوانيا قوّض المبرّر الأساسي للحرب الصّليبيّة، وبعبارة أخرى، فإنّ أيّ خطوة عسكريّة للتّنظيم الألماني ضدّ الأراضي الليتوانيّة بعد إزالة معالم الوثنيّة منها سيتعارض مع جوهر كينونته ويعدّ خروجا عن تعهّداته الدّينيّة ومأموريته المعلنة[30].

كان من الطّبيعي أن يلقي هذا الواقع بضلاله على سمعة الفرسان التيوتون في ربوع أوربا، فقد تسبب التّقارب بين ليتوانيا والقوى المسيحيّة على رأسها البابويّة وتمسّك الفرسان بعقيدتهم الحربيّة ضدّها في شبه عزلة إقليمية في أعقاب نجاح الدّبلوماسيّة الليتوانيّة في كسب وتحييد أطراف كانت بالأمس القريب مؤيّدة لهم ممّا تسبّب في إضعافهم وأسفر عن تقهقر قوّتهم تدريجيّا.

يمكن تبيّن هذا من خلال عمليّة التّجنيد التي أضحت معضلة حقيقيّة بالنّسبة للتّنظيم الألماني بحلول أواخر القرن الرّابع عشر الميلادي ومطلع القرن الموالي، ففيما شكّلت بروسيا وجهة مفضلّة للصّليبيّين ففيما لقيت الحملات الأولى ضدّ ليتوانيا مساندة الأمراء والمرتزقة واستقطبت أعدادا هائلة من السّاعين للشّهرة والخلاص من مختلف ربوع أوربا بالنّظر إلى ما كانت توفّره من مجد ومظاهر حياة الفروسيّة[31]، فإنّ تلك الغارات فقدت ذاك الزّخم بعد تلاشي آخر أسبابها المقنعة، وبالتّالي تضاءل أعداد المجنّدين الصّليبيين في صفوف التّنظيم بشكل حاد مقارنة بالفترة المبكرة، وقد رصد لنا جين

جرماين"Jean Germain" أسقف شالون"Chalon" أفول تلك الحميّة الدّينيّة بشكل كبير إبّان القرن الخامس عشر الميلادي في أوربا[32].

لقد لقيت اعتداءات الفرسان التيوتون على ليتوانيا امتعاضا شديدا من لدن القوى المسيحيّة وفي طليعتها وانسيسلاوس"Wenceslaus IV"(1361.1419م) ملك بوهيميا الذي أبدى اعتراضه عليها، وأصدر في سنة 1395م مرسوما يمنع منعا باتّا الانخراط في حملات التّنظيم الألماني على ليتوانيا[33]، كما أنّ تنصّل بعض حلفاءه السّابقين على غرار ملك إنجلترا هنري الرّابع"Henry IV"(1367-1413م) من المشاركة في الحرب على التّحالف والتزامه الحياد في موقعة تاننبورغ"Tannenberg"[34]، وتردد سيجسموند"Sigsmund"(1368.1437م) ملك المجر من خوض غمارها . بداية . رغم عداءه مع بولندا كان إيحاءً عن رفضهم الانخراط في حرب دينيّة تفتقر إلى الشّرعيّة في ظلّ غياب مراسيم بابويّة تسندها[35].

من جهة أخرى، فإنّ تنصّر دوقيّة ليتوانيا الكبرى الذي اقترن بشكل مباشر بتحقيق الوحدة مع قوّة إقليميّة بحجم مملكة بولندا لعب دوره لصالح الدّوقيّة وعزّز مكانتها فأصبح بإمكانها مواجهة الفرسان التيوتون دون عقدة، وذلك لأنّ أي خطوة ضدّ ليتوانيا كانت ستكلّف التّنظيم التيوتوني غاليا كما حدث إبّان الثّورة الساموجيتيّة في سنة 1409م أين وجد نفسه مطوّقا على عدّة جبهات في أعقاب إعلان ملك بولندا جاجيلو عن مساندته المطلقة لفصله على الدّوقيّة فيتوتاس وللثّائرين السّاموجيتيين[36].

اللافت للانتباه، أنّ هذه المواقف لم تكن سوى انعكاسا لموقف البابويّة التي أعربت في مواضع عديدة عن مساندتها لليتوانيا بشكل غير مباشر ورفضها لكل أشكال التّدخلاّت العسكريّة من طرف الفرسان التيوتون، فقد رفض البابا بونيفاس التّاسع"Boniface IX" في سنة 1403م التماس المقدّم الأوّل كونراد فون جونجينجن" Conrad of Jungingen"(1393.1407م) الدّعوة إلى تجديد الحملات على الدّوقيّة [37]؛ علاوة على ذلك، وفيما منحت ليتوانيا إلى جانب بولندا شرف الدّفاع عن تخوم العالم الكاثوليكي ضدّ جيرانهم البرابرة والمنشقيّن، أي التّتاريين والرّوس، فإنّ جميع الامتيازات والإقطاعيّات الخاضعة للهيئة والتّابعة في الأصل للدّوق ألكسندر فيتوتاس"Vytautas" والملك جاجيلو فلاديسلاف الثّاني قد تمّ إبطالها من طرف البابا يوحنّا الثّالث والعشرون"John XXIII" في مرسوم سنة 1415م [38].

والواضح في ظلّ ما تقدّم أنّ إيديولوجيّة التّنظيم الألمانيّ أضحت محلّ استنكار المجتمع المسيحي الكاثوليكي مثلما حدث في مجمع كونستانس"Council of Constance"(1414-1418م) أين وجّهت له انتقادات لاذعة خاصّة في أعقاب تنصر آخر شبر من ساموجيتيا التي أضحت جزء من الأراضي الليتوانيّة بشكل نهائي[39].

في خضمّ انفراط عقد الودّ الذي جمع تنظيم الفرسان التيوتون ببعض الأقطاب الإقليميّة، والخسارة الدبلوماسيّة الكبرى التي تكبّدها بفقدانه لأبرز مناصريه، كان من الطّبيعي أن يفضي هذا إلى تخبّطه في مشاكل وأزمات سياسيّة واقتصاديّة تفاقمت بالخصوص في بروسيا وأضعفت جهته[40]، ويمكن القول بأنّ عوامل الضّعف بدأت تدبّ في أوصاله منذ تاريخ تنصّر ليتوانيا في سنة 1386م، بسبب سوء سمعته بالدّرجة الأولى وهذا ما تؤكّده الفترة اللاحقة، بدليل تراجعه الواضح وتوالي الانتكاسات والهزائم آخرها كان سنة 1466م إثر معاهدة ثورن الثّانيّة التي جرّدته من جلّ سلطاته.

5. خاتمة.

حقيقةً، إنّ تنصّر ليتوانيا بموجب اتّفاق كريفو سنة 1386م كانت له تداعيّات عميقة على سمعة تنظيم الفرسان التيوتون، كونه أماط اللثام عن أهدافه الحقيقة التّوسعيّة، خاصّة في ظلّ مواصلته لسياسته العدائيّة، ويمكن اعتباره عاملا هامّا في تغيّر مجرى الأحداث في المنطقة، بالنّظر إلى أن ليتوانيا نجحت إلى حدّ بعيد في تنضيد ورصّ صفوف القوى الكاثوليكيّة لمواجهة التّنظيم الألماني، أو بالأحرى في استغلال الهوّة والتّوتّر الذي ساد علاقة الفرسان التيوتون الخارجيّة سواء مع البابويّة أو مع مملكة بولندا وبعض الأطراف المجاورة.

من جهة أخرى، يبدو أنّ القوى الإقليميّة في البلطيق وجدت فيها كذلك فرصة سانحة للانقضاض على النّفوذ المتعاظم للهيئة، فتتبّع الأحداث التاريخيّة يكشف أنّ الصّدع في

علاقات الفرسان التيوتون بحلفائها التّقليديين ظهر منذ 1309/1308م في أعقاب استيلائهم على مقاطعة بوميراليا وانتهاج سياسة تقارب واضحة مع الإمبراطوريّة على حساب البابويّة في أعقاب نقل قاعدتهم المركزيّة من فينيس"Venice" إلى مارينبورغ"Marienburg"؛ ونستنتج بناء على ما تقدّم أنّ السبب الرئيسيّ في تراجع وتقهقر الفرسان التيوتون يكمن . بالإضافة إلى تراكمات عديدة أضعفت جبهته الدّاخليّة . في أنّ التّنظيم حمل بذور فنائه في طياته، ذلك أنّ طموحاته الإقليميّة وخروجه عن سياق مهمّته الذي لاح في الأفق منذ العقد الأوّل من القرن الرّابع عشر الميلادي وبدا جليّا خاصّة بعد تنصّر ليتوانيا تسبّب في تراجعه وجعله محلّ ارتياب وتوجّس كبير في أوساط القوى الكبرى المجاورة.

5- خريطة لدولة منظمة الفرسان التيوتون في شمالي شرق أوربا 1230-1561م.

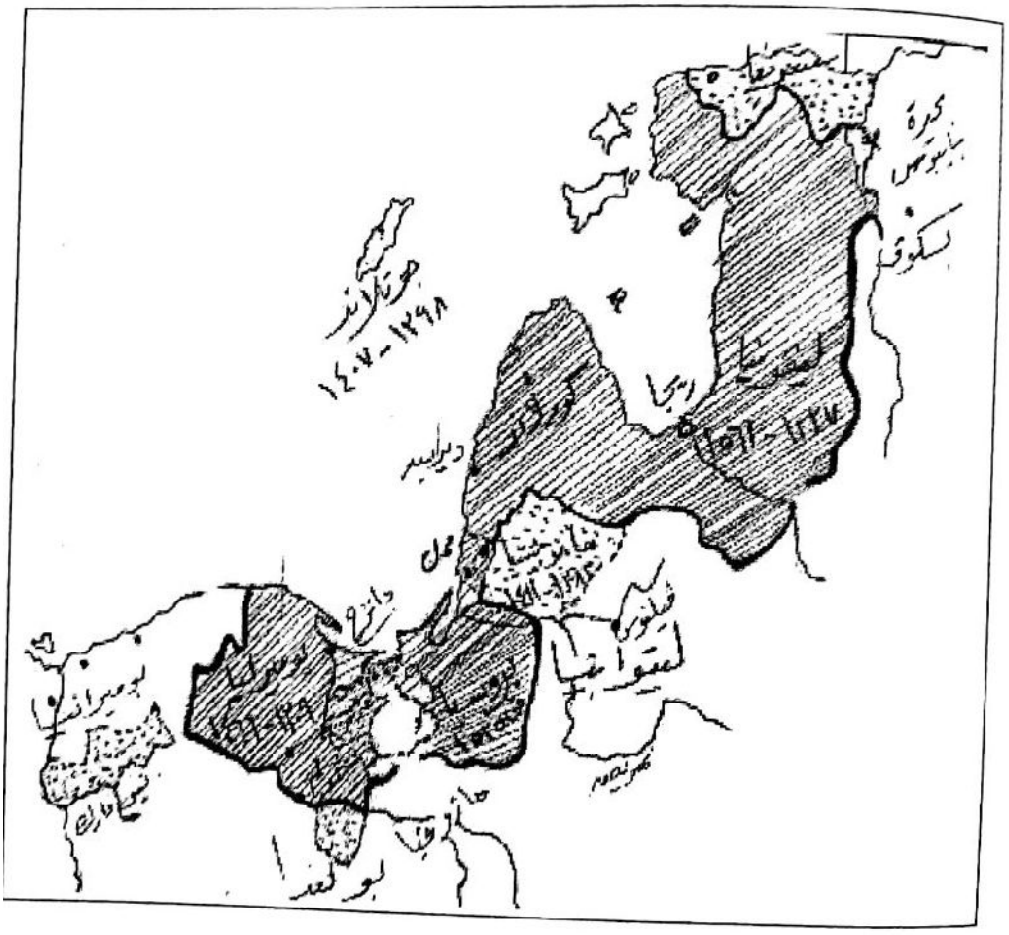

نقلا عن: محمد السيّد صديق رشوان الشريف، منظمة الفرسان التيوتون في شرق اوربا دراسة في التاريخ السياسي والعسكري(1226-1466م)، إشراف حامد زيان غانم، محمود محمد الحويري، رسالة ماجيستير (غير منشورة)، جامعة سوهاج، 2007، ص 267.

6- خريطة تمثّل تواريخ أهم حملات منظمة الفرسان التيوتون على دوقيّة ليتوانيا الكبرى خلال القرن الرابع عشر الميلادي:

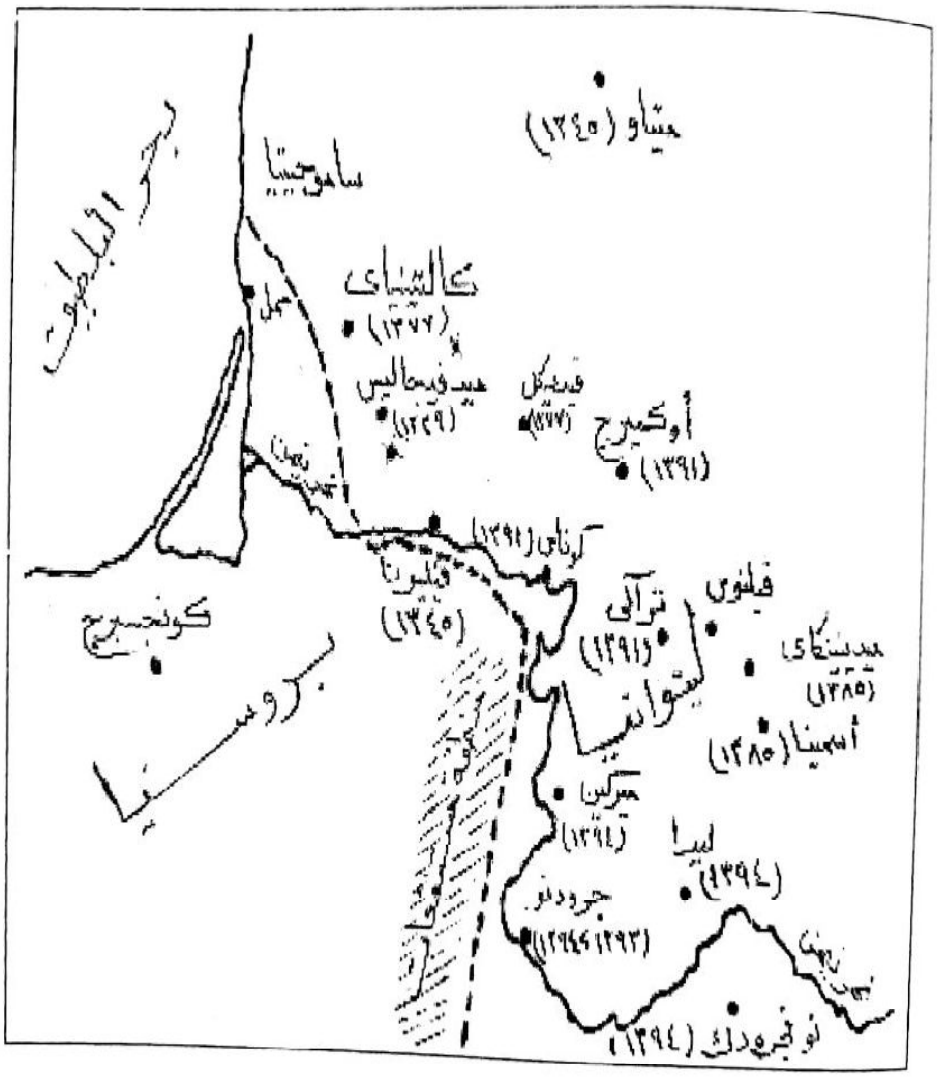

نقلا عن محمد السيّد الصديق رشوان، المرجع السّابق، ص 265.

6. الهوامش:

[1]. **دوقيّة ليتوانيا الكبرى**: أرض ليتوفا"Lietuva" نسبة إلى نهر ليتوكا"Lietauka" أو ليتوفا"Lietuva" الواقع بالقرب من مدينة كيرنافي"Kernavé" العاصمة الأولى للدّوقيّة، تمتد الأراضي الليتوانيّة بين نهري نيمن"Nemunas" ونارِس"Neris"، كانت القبائل الليتوانيّة متفرّقة إلى أن وحّدها رينغولد"Ryndold" واستطاع خليفته ميندوغاس"Mindaugas"(1203-1263م) إرساء قواعد دولة قوّية ومدّ نفوذه إلى ما وراء هذه الأراضي منذ منتصف القرن الثّالث عشر الميلادي ليكون أوّل حاكم عليها والمؤسّس الفعليّ لدولة ليتوانيا. شهدت ليتوانيا في النّصف الثّاني من القرن الرّابع عشر الميلادي أوجّ قوّتها فقد امتدّ نفوذها من بحر البلطيق شمالا إلى مشارف البحر الأسود جنوبا بيد أنّها سرعان ما فقدت تأثيرها لصالح روسيا الموسكوفيّة منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. ارجع إلى: Alfonsas Eidintas and Others, The history of Lithuania, Trans. By Skirma Kondratas and Ramunas Kondratas, 2nd Edition, Eugrimas, 2015, PP.16-17.

[2]. **القبائل البلطيّة:** تقع مضارب هؤلاء في مصبّ نهر الفيستولا والسّواحل الجنوبيّة الشّرقيّة للبلطيق على مقربة من مصبّ نهري الدوغافا "Daugava" والدنيبر"Dnieper"، تضم المجموعة البلطيّة الشعوب الليتوانيّة، البروسيّة"Prussians"، اللاتفيّة"Latvians"، والكورونيّة"Curonians" وتقسّم الشّعوب البلطيّة إلى بلط شرقيّين وغربيين، لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Endre Bojtar, Forward to the past A cultural history of the Baltic people,Trans. By Szilvia Rédey, CEU Press, 1999,PP. 128-163.

[3]. **الفرسان التيوتون:** تنظيم رهباني عسكري نشأ في بلاد الشّام في بداية تسعينيّات القرن الثّاني عشر الميلادي في خضمّ أعمال حصار عكّا إبّان الحملة الصّليبيّة الثّالثة، تمّ الاعتراف به بشكل رسمي كثالث تنظيم عسكري رهباني بالإضافة إلى تنظيمي الدّاويّة والإسبتاريّة من طرف البابا سليستين الثّالث"Pope Celestine III"(1191-1198م) في سنة 1198م في أعقاب تكليفه بالمهام العسكريّة ممّا يوحي بأنّ الطّائفة الألمانيّة لم تضطلع بالشّؤون الحربيّة قبل هذا التّاريخ على عكس ما يتبنّاه أغلب المؤرّخين. وعلى الرّغم من نشأتها المشرقيّة إلاّ أنّ تاريخ هيئة الفرسان التيوتون ارتبط بأوربا وتحديدا بمنطقة حوض البلطيق حيث استهدفت تنصير القبائل الوثنيّة منذ ثلاثينيّات القرن الثّالث عشر الميلادي، قيّض للتنظيم الألماني تحقيق مكاسب إقليميّة كبرى وإقامة دولة ثيوقراطيّة . عسكريّة عمّرت ما يربو عن قرنين من الزّمن. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: حسن عبد الوهّاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدّسة 1190-1291م/586-690هـ، دار المعرفة الجامعيّة، 1989م، ص ص 94-102؛ أنظر أيضا: Nicholas Morton, The Teutonic knights in the Holy land 1190-1290 , The Boydell Press, 1ST, 2009, PP.9-13; William Urban,The Teutonic knights A military history, Greenhill books- Stackplace books , London-Pennsylvania, PP.41 and after.

[4]- Zigmas Kiaupa, The history of Lithuania, Trans. By S.C.Rowell and Jonathan Smith, Lithuania, 2002, P.51.

[5]- Benoit Martel, La Christianisation de la Prusse par L'order Teutonique (13e-14e siècle), Maitrise en Histoire(Pub.), Université du Québec, Montréal, Canada, 2007, PP.27-28.

[6]. **ترانسلفانيا:** تقع في شرقي مملكة المجر، وتعدّ الأراضي المجريّة أوّل موطئ قدم لتنظيم الفرسان التيوتون خارج الأراضي المقدّسة، حين كلّفهم الملك أندرو الثّاني "Andrew II"(1205-1235م) في سنة 1211م بمهمّة حماية التخوم الشّرقيّة للمملكة من غارات عشائر الكومان"Cumans" الوثنيّة مقابل منحهم أراضي بورزلاند"Burzenland" وكل ما تغزوه وراء جبال الكرابات، والحقيقة أنّ الفرسان التيوتون رغم خروجهم من المنطقة خالي الوفاض في أعقاب طردهم منها، إلاّ أنّهم أثبتوا قدرتهم على إدارة المهام الكبرى، وكانت هذه التّجربة بمثابة حملة دعائيّة لها حيث ذاع صيتها في أرجاء أوربا. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Urban, Op,Cit.,P.31-36 ; Pal Engel, The realm of St. Stephen A history of medieval Hungary 895-1526, Trans. By Tamas Palosfalvi, I.B.Tauris Pub., London NewYork, 2001, PP.89-90.

[7]- لمزيد من التّفاصيل حول تهديد القبائل البروسيّة لبولندا والدّعوة التي وجّهها كونراد دوق ماسوفيا لتنظيم الفرسان التيوتون ارجع إلى: Nicolaus Von Jeroschin, The chronicle of Prussia A history of the Teutonic knights in Prussia 1190-1331, Trans. By Mary Fischer, Routledge, London and NewYork, 2016, PP.43-47.

[8]- **البروسيّون:** نسبة إلى قبائل البروس التي تنتمي إلى المجموعة البلطيّة. ورد البروس أو "Bruzi" لأوّل مرّة في كتابات الرّحالة البافاري"Bavarian Geographer " (ق9م)، ومن المحتمل أنّ بروسيا"Prussia" كانت اسما لإحدى قبائل غربي الإقليم الذي أصبح يعرف فيما بعد ببروسيا على غرار مملكة إنجلترا التي أخذت اسمها من قبائل الإنجل"Angel" وألمانيا من قبائل الألماني"Allemage"، كما جاء على ذكرهم التّاجر ابراهيم بن يعقوب اليهودي الأندلسي وأدم من بريمن "Adam of Bremen" الذي تطرّق إلى قبيلة سمبيا"Sembi" . على أنّ بطليموس"Plotemy"(ق2م) كان قد ذكر أسماء بعض القبائل البروسيّة على غرار سودوفيا"Sudovia" وغالينديا"Galindia". لمزيد من التّفاصيل أنظر: Marija Gimbutas, The Balts Ancient People and Places, London Thames and Hudson, G.B., 1963, PP.21-26 ; Adem of Bremen, History of the Archbishops of Hamburg-Bremen Trans. By Francis J. Tschan, Columbia University Press, 1959 , PP.52,199.

[9]- Urban, Op.Cit., P.78.

[10]- William Urban, The Prussian crusade, Pub. By Lithuanian research and studies center, 2000, PP.147-148.

[11]. تربّعت دولة الفرسان التيوتون"Ordenstaat" التي اتّخذت من قلعة مالبورك على الفيستولا قاعدتها المركزيّة على أراضي بروسيا، ليفونيا وكورلاند وضمّت في سنة 1309م الأراضي البوميراليّة التّابعة للتّاج البولندي.لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Paul Knoll W., The rise of the Polish monarchy Piast Poland in east central Europe 1320-1370, The university of Chicago, U.S.A., 1972, PP.29-31.

[12]- Eric Christiansen, The northern crusades the Baltic and the Catholic frontiers 1100-1525, 1st Pub., 1980, P.158.

[13]- Daniel Stone, Op.Cit., PP.3-4.

[14]- Darius Baronas and S.C. Rowell, The conversion of Lithuania from pagan barbarians to late medieval Christians, The institute of Lithuanian literature and folklore, Vilinius, P.139.

[15]. **جوجيلا**: أو فلاديسلاف جاجيلو الثاني"Wladyslaw II Jagiello"، دوق ليتوانيا(1377.1401م) وملك بولندا(1386.1434م)، وهو مؤسّس السلالة الجاجيلونيّة الحاكمة التي تربّعت على عرش مملكة بولندا قرابة القرنين من الزّمن. اشتهر فلاديسلاف جاجيلو الثّاني بكونه سياسيّا محنّكا وعسكريّا مقتدرا كما عرف عنه اهتمامه بالجانب المعرفي وتشجّيع العلوم والفنون. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: George J. Lerski, Historical dictionary of Poland 966-1945, Greenwood press, London, 1 st Pub., 1966, PP. 658-659.

[16]- Norman Davies, God's playground A history of Poland Vol. 1, Columbia university, press, New York, 2005, P. 94; Baronas and Rowell, Op.Cit., P.143.

[17]- Robert Frost, The Oxford history of Poland-Lithuania The making of the Polish-Lithuanian union 1385-1569, Vol.1, Oxford university press, 1st Edition, 2015, P.33.

[18]- Ibidem.

[19]. **جادويغا**: (18 فيفري/شباط 1374م . 17 جويلية/يوليو 1399م، وريثة لويس من أنجو"Louis of Anjou" ملك بولندا وهنغاريا(1343.1370.1382م)، توّجت ملكا على بولندا"Rex Poloniae" في العاصمة كراكو في 15 أكتوبر/تشرين أوّل من سنة 1384م، وشكّل زواجها بدوق ليتوانيا جاجيلو محطّة فاصلة ليس في تاريخ الأمّتين البولنديّة والليتوانيّة فحسب بل في تاريخ منطقة حوض البلطيق. اشتهر عن جادويغا ولعها بالعلوم والمعارف وقد أجمع المؤرّخون على أنّها كانت امرأة متعلّمة أجادت خمسة لغات من بينها الألمانيّة واللاتينيّة وربّما حتّى الإيطاليّة. أنظر: Paul W. Knoll, Jadwiga and education, The Polish review, Vol.44, N°.4, Published by University of Illinios press, PP.419-421,425 ; Sigmund John Sluszka, Queen Jadwiga in history and legend, Doctoral thesis(Pub.), University of Ottawa, PP.10-12, 23, 58, 170.

[20]- The annals of Jan Dlugosz, Eng abridgement by Maurice Michael, IM Publisher, U.K., 1997, PP.344-345.

[21]-Richard Fletcher, The Barbarian conversion from paganism to Christianity Marian wood book, Henry holt and company, New York; 1997, P.505-506.

[22]- Stone, Op.Cit., P.8.

[23]- Jan Dlugosz, Op.Cit., PP.346-348; Frost, Op.Cit., P.4.

[24] . **الدّوق ألكسندر فيتوتاس**"Alexander Vytautas" ابن الدّوق كيستوت"Kęstutis" وخليفته، ولد في حوالي سنة 1348م، دخل في صراع مرير منذ مطلع ثمانينيّات القرن الرّابع عشر الميلادي ضدّ أبناء عمّه ألجيرداس"Algirdas" للاستئثار بالسّلطة، ولجأ للاحتماء بلفرسان التيوتون؛ وفي سنة 1392م تنازل له جاجيلو فلاديسلاف الثّاني عن دوقيّة ليتوانيا لينفرد بالحكم رغم تبعيّته الاسمية لملك بولندا. بلغت ليتوانيا على عهد فيتوتاس أوّج قوّتها، حيث ألحق بالفرسان التيوتون هزيمة كبرى في موقعة تاننبورغ وقيّض له إحكام سيطرته مقاطعة ساموجيتيا، توفي فيتوتاس في سنة 1430م. لمزيد من التّفاصيل أنظر: Giedré Mickunaité, Making a great ruler : grand Vytautas of Lithuania, Central Europe university press, 2006, PP.5-6, 19-27.

[25]- Fletcher, Op.Cit., P.507.

[26] - Norman Housley, The crusade in the fifteenth century converging and competing cultures, Routledge, London and New-York, 1st Pub., 2017, P.90.

[27]. **ساموجيتيا**: أو الأراضي المنخفضة"The lawland"، تقع ساموجيتيا في الجزء الغربي من ليتوانيا وفي كثير من الأحيان تمتّعت بالاستقلاليّة عن الحكام الليتوانيين. تمتد من الحدود اللاتفيّة شمالا إلى نهر

النيمن"Neimen" جنوبا، ومن نهر نيفز"Nevezis" شرقا إلى سواحل بحر البلطيق غربا. بحكم موقعها الاستراتيجي كونها شكّلت الواجهة الساحليّة الوحيدة لليتوانيا على بحر البلطيق من جهة، والشّريط الرّابط بين ليفونيا والأراضي البروسيّة بالنّسبة لهيئة الفرسان التيوتون من جهة أخرى، فإنّها لطالما شكّلت نقطة خلاف كبرى بين الطّرفين. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Lukosevicus Viktoras, Cartographic image of Samogitia in the old maps of Lithuania Poland and other neighboring countries(1231-1700), In Geodesy and cartography, Taylor and Francis, Gediminas technical university, Vilinius, Vol.40, Issue 1, 2014, P.27.

[28] - Mickunaité, Op.Cit., PP.19-20.

[29] - Ibidem; Stefan Vander Elst, The knight the cross and the song and chivalric literature 1100-1400, Crusade propaganda University of Pennsylvania press, 2017, P.134.

[30] - Axel Ehlers, The crusade of the Teutonic knights against Lithuania reconsidered , In Crusade and conversion on the Baltic frontier 1150-1500, Edited By Alan Murry, Routledge and Taylor Francis, London New York, 2017, P.21.

[31]. نجحت الحملات الصّليبيّة ضدّ ليتوانيا في بدايتها في جذب أعدادا هائلة من نبلاء ومرتزقة غرب أوربا، حيث شارك فيها في النّصف الأوّل من القرن الرّابع عشر الميلادي صليبيّون من إنجلترا"England"، البرتغال"Portugese" بوهيميا"Bohemia" والونيا"Wallonia" النمسا"Autrich"، بورغانديا"Burgandy" بافاريا"Bavaria" والأراضي المنخفضة وكذا من هنغاريا، أمّا في بداية النّصف الثّاني فقد انخرط فيها الإيطاليّون والاسكتلنديّون. لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Vander Elst, Op.Cit., P.P.134-135 ; Antoni Romuald Chodynski, The préparations for war expiditions to Lithuania and Samogitia according to the chronicle by Wigand of Marburg, Trans. By Zuzanna Pokleswska-Parra, In Fasciculi Archaeologiae Historicae, PP.39-40.

[32] - Ibidem ; Norman Housley, Crusading in the fifteenth century message and impact, Palgrave Macmillan, 1st Pub., 2004, P.77.

[33] - Mickunaité, Op.Cit., P.37.

[34]. **تانينبورغ**: أو غرونوالد"Grunwald" تعدّ إحدى أهمّ معارك العصور الوسطى الأوربيّة، دارت رحاها في 15 جويليّة/ يوليو سنة 1410م بين تنظيم الفرسان التيوتون والتّحالف الليتواني . البولندي، ويمكن القول بأنّ المعركة كانت نقطة تحوّل حاسمة في تاريخ الفرسان التيوتون حيث كادت الهزيمة السّاحقة التي تلقوها أن تقضي على تواجدهم في المنطقة لولا إحكام قبضتهم على القاعدة المركزيّة في ماربنبورغ"Marienburg". لمزيد من التّفاصيل ارجع إلى: Jan Dlugosz, Op.Cit., PP.380-399 ; William Urban, The last years of the Teutonic knights Lithuania Poland and the Teutonic order, Greenhill books, 1ST Pub., 2019, P.105-129.

[35] - Stephen Turnbull, Tannenberg 1410 Disaster for the Teutonic knights, In Campaign 122, Osprey Publication, 1ST Pub., 2003, P.20-21; Kristina Markman, Between Two World: A comparative study of the representations of pagan of the Teutonic order and Lithuania in the chronicle Rus,Doctoral thesis (Published) University of California, 2015, P.50.

[36] - Martin Hofbauer, The Battle of Tannenberg in 1410: Strategic interests and Tactical implementation, Journal of military and strategic studies, Vol.13, Issue, 2010, PP.32-33.

[37] - Mickunaité, Op.Cit., P.37.

[38] - Ibidem.

[39] - Helen Nicholson, Love war and grail, Leiden, Boston, 2001, P.27.

[40] - Ibidem.